ووجه خامس عندي : أن يكون المراد بالعذاب عذاب الدنيا والكلام على حذف مضاف تقديره : ورأوا آثار العذاب . والرؤية بصرية أي وهم رأوا العذاب في حياتهم أي رأوا آثار عذاب الأمم الذين كذبوا الرسل وهذا في معنى قوله تعالى في سورة إبراهيم (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم) ؛ وجملة (لو أنهم كانوا يهتدون) أي بالاتعاظ وبالاستدلال بحلول العذاب في الدنيا على أن وراءه عذابا أعظم منه لاهتدوا فأقلعوا عن الشرك وصدقوا النبي A . وهذا لأنه يفيد معنى زائدا على ما أفادته جملة (فلم يستجيبوا لهم) . فهذه عدة معان يفيدها لفظ الآية وكلها مقصود فالآية من جوامع الكلم .

(ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين [65] فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون [66]) هو يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون . كرر الحديث عنه باعتبار تعدد ما يقع فيه لأن مقام الموعظة يقتضي الإطناب في تعداد ما يستحق به التوبيخ . وكررت جملة (يوم يناديهم) لأن التكرار من مقتضيات مقام الموعظة . وهذا توبيخ لهم على تكذيبهم الرسل بعد انقضاء توبيخهم على الإشراك با .

والمراد : ماذا أجبتم المرسلين في الدعوة إلى توحيد ا وإبطال الشركاء . والمراد ب (المرسلين) محمد A كما في قوله تعالى في سورة سبأ (فكذبوا رسلي) . وله نظائر في القرآن منها قوله (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) يريد محمدا A في سورة يونس وقوله (كذبت قوم نوح المرسلين) الآيات في سورة الشعراء وإنما كذب كل فريق من أولئك رسولا واحدا . والذي اقتضى صيغة الجمع أن جميع المكذبين إنما كذبوا رسلهم بعلة استحالة رسالة البشر إلى البشر فهم إنما كذبوا بجنس المرسلين ولام الجنس إذا دخلت على (جميع) أبطلت منه معنى الجمعية .

والاستفهام ب (ماذا) صوري مقصود منه إظهار بلبلتهم . و (ذا) بعد (ما) الاستفهامية تعامل معاملة الموصول أي ما الذي أجبتم المرسلين أي ما جوابكم . والأنباء : جمع نبأ وهو الخبر عن أمر مهم والمراد به هنا الجواب عن سؤال (ماذا أجبتم المرسلين) لأن ذلك الجواب إخبار عما وقع منهم مع رسلهم في الدنيا .

والمعنى : عميت الأنباء على جميع المسؤولين فسكتوا كلهم ولم ينتدب زعماؤهم للجواب كفعلهم في تلقي السؤال السابق : (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) .

ومعنى (عميت) خفيت عليهم وهو مأخوذ من عمى البصر لأنه يجعل صاحبه لا يتبين الأشياء فتصرفت من العمى معان كثيرة متشابهة يبينها تعدية الفعل كما عدي منا بحرف (على)

المناسب للخفاء . ويقال : عمي عليه الطريق . إذا لم يعرف ما يوصل منه قال عبد ا بن رواحة : .

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع والمعنى : خفيت عليهم الأنباء ولم يهتدوا إلى جواب وذلك من الحيرة والوهل فإنهم لما نودوا (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) انبرى رؤساؤهم فلفقوا جوابا عدلوا به عن جادة الاستفهام إلى إنكار أن يكونوا هم الذين سنوا لقومهم عبادة الأصنام فلما سئلوا عن جواب دعوة الرسول A عيوا عن الجواب فلم يجدوا مغالطة لأنهم لم يكونوا مسبوقين من سلفهم بتكذيب الرسول فإن الرسول بعث إليهم أنفسهم .

بعضهم يسأل لا أي (يتساءلون لا فهم) قوله (الأنباء عليهم فعميت) على تفرع ولهذا A E بعضا لاستخراج الآراء وذلك من شدة البهت والبغت على الجميع أنهم لا متنصل لهم من هذا السؤال فوجموا .

وإذ كان الاستفهام لتمهيد أنهم محقوقون بالعذاب علم من عجزهم عن الجواب عنه أنهم قد حق عليهم العذاب .

(فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين [67]) تخلل بين حال المشركين ذكر حال الفريق المقابل وهو فريق المؤمنين على طريقة الاعتراض لأن الأحوال تزداد تميزا بذكر أضدادها والفاء للتفريع على ما أفاده قوله (فعميت عليهم الأنباء) من أنهم حق عليهم العذاب